

محاضرة الدكتور خياط في 2003/4/23

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أستفتح بالذي هو خير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في لقائنا الأخير تحدثنا عن سنن الله في هذا الكون وكيف أن هذه السنن أو من نسميه اليوم بالقوانين قد قدرها الله سبحانه وتعالى وقلت إنني أفهم من قدرها يعني مكنها وجعلها قادرة وجعلها نافذة وقدر الإنسان إن الله سبحانه وتعالى قدر القانون وجعله نافذا قادراً وقدر الإنسان في أن يتصرف في حدود هذه القوانين بكل حرية وهنا تكمن قضية الحرية حرية الإنسان في أن تصدق بما في ذلك محاولة الاستفادة من بعض هذه القوانين لتغيير وضع قد يكون غير مناسب إلى وضع مناسب بعد ما هو ضائع ليصبح مفيداً بعد ما هو مفيداً بعد ما هو مخرب يصبح معمرّاً على سبيل المثال سيل جارف يستطيع الإنسان أن يبني سداً بحيث يقف السد في وجه هذا السيل هذا النوع من التقدير تقدير الإنسان على أن يقف في وجه هذه القوانين التي قدرت أيضاً فإذا هنالك تقدير من الله سبحانه وتعالى لنا على التعرف على هذه القوانين وهذا هو التقدم العلمي دائماً نحن نبدأ نتعرف شيئاً فشيئاً على القوانين التي تحكم على الكون ثم هنالك تقدير لنا على التصرف أيضاً في ضمن هذه القوانين أو في حدود هذه القوانين.

الله سبحانه وتعالى لعل هذا هو ما تشير إليه سورة الأعلى «سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى».

قضية التقدير أي جعل هذه القوانين قادرة وجعل الإنسان قادراً هي تفتح أمامنا باب الكلمة الأخير في هذه الآيات وهي فهدى قضية الهدايا وهذا ما هو ما أحب أن أتطرق إليه إن شاء الله في هذه الأمسية. طبعاً شتان بين تقدير وتقدير القوانين، القوانين الطبيعية التي تحكم هذا الكون تقديراً صائب لا يدع لهذه القوانين حرية التبديل ولا حرية التحويل ولا تجد لسنتنا تحويلاً في حين أن تقدير الإنسان من تقدير من تركت له فيه حرية الاختيار وهذا مظهر من مظاهر التكريم لهذا المخلوق العجيب الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى ولعل ذلك بعض ما يتضمنه قوله تعالى «ولقد كرمنا بني آدم وحملنا في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيل» لكن بالطبع التقدير الذي يتضمن حرية الإرادة يتضمن في مقابل ذلك مسؤولية الإنسان يصبح مسؤولاً الجبال الأرض السماوات كلها حينما أبت أن تتحمل مسؤولية الأمانة خافت أو خشيت أما الإنسان فقد تحمل هذه المسؤولية. إذا مادام قد تحمل هذه المسؤولية فإن عليه أن يكون قابلاً للمساءلة قادراً على أن أو مستعداً للمساءلة فيه وتقديم الحساب.

نعود إلى قضية الهداية هذه الهداية هذى من الكلمات الجميلة جداً في لغة العرب واستعمالاتها المختلفة في القرآن الكريم وفي مقابل ذلك كما نعلم الضلال الذي هو الكلمة المعاكسة لكلمة الهداية ولها أيضاً معان متعددة ولكنها كلها تحوم حول مفهوم رئيسي هو الابتعاد عن سواء الصغار.

الله سبحانه وتعالى كما قلنا قدر فهدى وهذا شيء تعهد الله سبحانه وتعالى به الله سبحانه وتعالى يقول «إن علينا للهدى» معنى ذلك أنه سبحانه قد تفضل بأن تعهد بهذه الهداية بهذه الدلالة.

الهدى المعنى الأول هو معنى الدلالة يدل على الطريق مجرد دلالة لكن لا يأخذ بيد الإنسان يوصله إلى آخر الطريق هذا من معاني الدلالة أيضاً لكن ليس هو المعنى الأول الذي ذكرته الله سبحانه وتعالى تعهد بالهداية أي بالدلالة يدل الإنسان على طريق الخير وعلى طريق الشر ثم يترك هذا الأمر لخيار الإنسان، الإنسان هو الذي يختار فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر هذه الحرية مطلقة تركت للإنسان حتى يختار أحد الطريقين الله سبحانه وتعالى يقول «وهديناه النجدين» النجد هو الطريق المرتفع السالك المستقيم الله سبحانه وتعالى قد هدى الإنسان الطريقين طريق الخير وطريق الشر يعني دله على طريق الخير وعلى طريق الشر ثم ترك الأمر لهذا الإنسان يختار وهذا كما قلنا شيء يتفرد به الإنسان بين مخلوقات الله عز وجل. إن هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافوراً إذا هي قضية دلالة على الطريق إن هذا الطريق من هنا إذا سلكه الإنسان يوصله إلى الجنة وهذا الطريق الآخر يوصله إلى النار وعليه هو أو له الحق في

أن يختار أيهما سوف يسود ولذلك يقو ربنا عز وجل «ولقد جاءهم من ربهم الهدى» فربنا سبحانه وتعالى يهدينا هذه الهداية الأولى وأما ثمود فهديناهم يعني ثمود الذين عوقبوا بالأصل رب العالمين هداهم يعني دلهم على طريق الخير فاستحبوا العمى على الهدى هم الذين فضلوا هم الذين آثروا طريق الضلال على طريق الهدى أما الله سبحانه وتعالى في البداية هداهم دلهم على الطريق فإذا كل الناس رب العالمين يهديهم إن علينا للهدى يدلهم على هذا الطريق هذا المعنى الأول للدلالة ويضاف إلى ذلك معنى آخر هو معنى التبيين هذا معنى آخر بصورة خاصة أهل التهمة يستعملون هذا المعنى أكثر يستعملوها بلغة التهمة أن الهدى معناها بين يقول عز وجل «أو لم يهدي لهم كما لو لم يكن قبلهم» أو لم يتبين لهم كما أهلكناهم قبلهم من القرون فهذا إذا معنى آخر قريب من المعنى الأول معناه التبيين والتوضيح لكن هذا ليس فيه الضرورة معنى الدلالة دلالة يدل أما هنا بين وضح.

الهدى من جملة معانيها أيضا الهادي كقوله تعالى في قصة سيدنا موسى «أو أجد على النار هدى» أي أجد على النار هاديا يدلني على الطريق لكن معنى آخر من معاني الهداية هو معنى الإيصال أن يأخذ بيد الإنسان فيوصله إلى طريق الخير وإلى طريق الجنة وإلى صراط الله العزيز الحميد موضوع الدلالة شيء يستوي فيه الناس جميعاً أما موضوع الإيصال فهذا لا يستوي فيه الناس جميعاً. الله سبحانه وتعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم في آية يقول «ليس عليك هداهم» يقول «إنك لا تهدي من أحببت» وفي آية أخرى يقول «وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم» هذا النوع قد يحار المرء في بداية الأمر ولكن الفارق الأساسي هو أن إحدى الهاديتين هي هداية دلالة أما الهداية الأخرى فهي هداية إيصال. وهؤلاء الذين هداهم الله إلى الحق يسمون المهديين ونحن نعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث العراب المثلالية خاف عليكم بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضو عليها بالنوافذ المهديون هم الذين تكفل الله سبحانه وتعالى بهدايته إلى الحق وسدد خطواتهم على طريق الحق وذلك فهؤلاء ينبغي لنا أن نتبع هداهم كما نتبع هدى نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء الراشدون هم وحدهم من بين المسلمين وبين البشر الذين أمرن أن نعض على سنتهم بالنواجذ كما نعض على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم

بالنواجد أما من عدى ذلك فلا حجة في أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الله سبحانه وتعالى يقول «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» بعد الرسل لا حج كل إنسان يأخذ من قوله ويترك لكن من هؤلاء الناس استثنى الخلفاء الراشدون الذين أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نعص أن سنتهم بالنواجد وهو الخلفاء الراشدون المهديون لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بهداياتهم الكاملة لذلك مع الأسف الآن نحن نلاحظ كثير من الناس يتركون بعض سنن الراشدين بحجة أنها لم تكن في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وأنها يسمون ويطلقون عليها أحياناً أسماء البدع ويقول أن سيدنا عمر حينما جمع الناس على قارئ واحد في صلاة التراويح قال نعمة البدع هذه ويقولون الأفضل أن نفعل دائماً ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بعضهم ينكر الأذان الثالث الذي زاده سيدنا عثمان رضي الله عنه نحن نعرف في الأصل هنالك الأذان الأول ليوم الجمعة الأذان أمام الخطيب والأذان الثاني الذي هو الإقامة لكن سيدنا عثمان لما كثر الناس زاد أذان ثالثاً بالزوراء مكان مرتفع في المدينة المنورة من أجل أن يجتمع الناس أن يعلم الناس أنه المكان صار بعيداً أو الناس بعدوا عن المسجد فأضاف سيدنا عثمان هذا الأذان الثالث. الحقيقة في أشياء حينما أجد في المساجد قبل صلاة الجمعة حينما يؤذن الأذان الأول هو الذي يسمى الأذان الثالث ولكن هو الأول من حيث الترتيب وألاحظ أن كثيراً من الناس يجلسون بعد هذا الأذان لا يتحركون ولا يتنفلون مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين كل آذنين صلاة فيقولون أن هذا ليس آذاناً وإنما هذا شئ زاده سيدنا عثمان نعم زاده سيدنا عثمان ولكن سنة سيدنا عثمان هي سنة الخلفاء الراشدين المهديين الذي أمرن أن نعص سنتهم بالنواجد مثلاً في آخر خطبة الجمعية كثيرون الآن نلاحظ أنهم لا يلتزمون سنة سيدنا عمر ابن عبد العزيز إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى في آخر الخطبة أيضاً هذا من سنن الخلفاء الراشدون لأن سيدنا عمر بن عبد العزيز بإجماع المسلمين هو خامس الخلفاء الراشدين المهم أن هؤلاء الخلفاء الراشدين المهديين أمرن أن نسير على هداهم إذا هداهم من الله سبحانه وتعالى من أجل أن يحفظ لهذه الأمة دينها ومن أجل أن يوسع عليها بعض التوسعة في ما حصل من تطور بعد عهد النبوة. هذا الهدى بمعنى الإيصال كما قلنا الله سبحانه وتعالى يقول «إنك لا تهتدي من أحببت» يعني لا تستطيع أن توصل إلى هذه

الهداية الحقيقة التي هي طريق الخير لا تستطيع أن تصل إليها من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أفلم ييأس أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إذا لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً هذه الهداية هي هداية الإيصال أما الهداية الأخرى هداية دلالة فقد تكفل بها الله عز وجل تكرماً منه وفضلاً قال «إن علينا للهدى هذا الشيء يعني تعهد به الله سبحانه وتعالى أما هنا لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً هذا معناه بداية الإيصال إلى طريق الخير فلو شاء لهداكم أجمعين لكن الله سبحانه وتعالى لم يشاء أن يأخذ بيد الناس أجمعين فيوصلهم لأن هذا الإنسان هو في أصل الخلق قد قبل أن يحمل الأمانة ويحمل المسؤولية ومن أجل ذلك يترك إليه مثل هذا الأمر من أجل أن يفكر ويستعمل عقله ويستعمل فؤاده ويسير في الطريق الذي يختاره وربنا سبحانه وتعالى يقول «ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها» لو شاء الله سبحانه وتعالى لأوصل كل إنسان إلى طريق الخير ولكن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان هذه الحرية حرية الاختيار ولذلك فإن هذا الإنسان يبقى في هذه البقعة التي أعطيت فيها حرية الاختيار مسؤولاً ومحاسباً في الوقت الذي هو حر في اختيار ما يختار.

هذه الهداية التي تكفل بها الله سبحانه وتعالى يعطيها لعباده على دفعات أي بالتقسيم إن صح التعبير ففي البداية ربنا عز وجل يدل الناس كما قلنا هذا طريق الخير وهذا طريق الشر بمجرد أنه دل على طريق الخير الإنسان المسلم المؤمن يختار هذا الطريق ويبدأ بالسير لأن الله سبحانه وتعالى قدر فالهداية أصلها كلها من الله عز وجل لكن الإنسان متى عرف أن هذا هو الطريق الصحيح فإنه يبدأ بالسير فيه.

ما الذي يكون جزاؤه إذا فعل ذلك؟ هنا الله سبحانه وتعالى يعطيه الدفعات التالية الدفعة بعد الدفعة ويزيد الله الذين اهتدوا هنا إذا الخطوة الأولى هي أن يهتدي الله سبحانه وتعالى أولاً هدى فهذا الإنسان اهتدى واتجه في طريق الخير مجرد ما اتجه في طريق الخير الله سبحانه وتعالى يأخذ بيده على طريق الخير ويزيده هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم بالإضافة إلى ذلك يعطيه علاوة مكافأة كبيرة جداً وهي قضية التقوى والتقوى أمر

مهم جداً جداً والتقوى تحتاج منا إلى بحث خاص لكن يعني هذه كما قلنا مكافأة إنما قبل ذلك والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقوى في قصة أهل الكهف إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى.

الخطوة الأولى إذا يجب أن تكون من الإنسان فمتى فعل ذلك وصار في طريق الخير فإن الله سبحانه وتعالى يتعهد حتى يوصله إلى أواخر هذا الطريق. ومرحلة الإيمان أو الإسلام أو الاهتداء أي كان هذا الاسم الله سبحانه وتعالى يستعمل كل هذه ويصورها دائماً يعني هنالك مواضع كثيرة في القرآن الكريم تدل على هذا المعنى الذي أتحدث عنه. مثلاً يقول ربنا عز وجل فهدى الله هدى من هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فإذا هؤلاء ماداموا قد آمنوا فقد صاروا محلاً لأن يتكفل الله سبحانه وتعالى بتسييرهم على طريق الخير ولذلك هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم وفضل هذا الإيمان الذي جعلهم يخطون خطوات الأولى الله سبحانه وتعالى يهديهم بمعنى يوصلهم إلى طريق الخير وأني لـ لمن تاب وآمن وعمل صالح ثم أهدى فتاب وآمن وعمل صالح يعني كل المؤهلات التي تؤهله إلى هذا الاهتداء يعني إلى هذه الإقامة على الإيمان، ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلاً)) فإذا هذه المجاهدة في الله عز وجل هذه تكون سبباً لأن يهديهم الله سبحانه وتعالى سبيلاً وأن يوصلهم إلى طريق الخير وأن يحافظ عليهم في طريق الخير.

من الأمثلة الأخرى من الآيات الأخرى التي تدل على ذلك ((ومن يؤمن بالله يهدي قلبه)) إذا كما قلت الخطوة الأولى هي الدلالة الله سبحانه وتعالى دل على طريق الخير فكل إنسان يؤمن يسلم ينبى بجاهد إلى آخره مجرد ما يكون رد الفعل لهذا الكرم الإلهي أن ييسر في هذا الطريق طريق الخير الله سبحانه وتعالى يأخذ بيده خطوة خطوة حتى يوصله إلى الجنة إن شاء الله. والله سبحانه وتعالى يقول ((ويهدي إليهم من أنا)) ويهدي إليهم من ينبى الذي يعود إلى الله عز وجل أن يؤوب إلى الله عز وجل فإن آمن بمثل ما آمنتم به فقد أهدى دائماً لدينا كثير من هذه الآيات التي تدل على هذا المعنى فإن أسلموا فقد اهتدوا كل الآيات تدل هذا المعنى بمقابل الله سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الظالمين في الآيات المختلفة في القرآن الكريم ((إن الله لا يهدي القوم

الظالمين» لا يهدي القوم الكافر لا يهدي القوم الفاسقين لا يهدي من هو مسرف مرتاب لا يهدي من هو كاذب لا يهدي من يضل لا يهدي كيد الخائنين أيضا هذا موجود بشكل واضح جداً في القرآن الكريم هؤلاء لا يهديهم الله يعني لا يتكفل بإيصالهم إلى الطريق لماذا لأنهم في البداية عرض عليهم طريق الخير وطريق الشر فهم تنكروا طريق الخير والتزموا طريق الشر فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم الكاذب ومنهم المرتاب هؤلاء كلهم سلكوا طريقا آخر ولذلك الله سبحانه وتعالى لا يهديهم بمعنى لا يوصلهم إلى طريق الجنة لا يهدي القوم الكافرين لا يهدي القوم الفاسقين لا يهدي القوم الظالمين لا يهدي من هو مسرف مرتاب.

الضلال هو عكس الهداية يقال أضللت فلاناً إذا أبعدته عن الطريق فالإنسان الذي لا يعرف الطريق من أين هذا يقال له ضال ولو أن هذا الضلال يعي بالضرورة أنه انحراف عن الطريق الحق فإذا المعنى الأول للضلال هو إنه لا يعرف الطريق من أين وهذا هو الذي يعني يعالج لأن الله سبحانه وتعالى يدل ولذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «(ووجدك ضالاً فهدى)» ضالاً هنا ليس معناه الابتعاد وليعود بالله عن طريق الهداية وإنما معناه إنه لم يكن يعرف هذا الطريق فאלله سبحانه وتعالى أنعم عليه وأنعم علينا بطبيعة الحال أنه هداه إلى هذا الطريق فإذا المعنى الأول من معاني الضلال إنه لا يعرف الطريق المعنى الثاني للضلال هو الإضاعة، الضياعة أن يُضيع أو أن يضيع ضل الشيء إذا ضاع أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا يعني كل ما يقومون به من سعي وجهد وتعب إلى آخره يضيع ضل سعيه في الحياة الدنيا وقضية الضياع في الحديث ولو أن الحديث ليس على ذرة قوية من الصحة ولكن معناه صحيح الحكمة ضالة المؤمن أن وجدها فهو أولى بها ضالة المؤمن ما معناه الضالة هي الضائعة مثل الواحد عنده ناقة وهذه الناقة ضلت الطريق ضاعت في الصحراء هذه تسمى الضالة وحينما يجدها الإنسان يفرح بها ويستمسك بها فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن صح شبه الحكمة بأنها ضالة المؤمن يبحث عنها حتى يجدها ومنها أيضا هو ما كيد الكافرين إلا في ضلال أي ضائع هذا كل من الأعمال الضائعة من المعاني الأخرى للضلال الغياب كما هو الضياع نوع من أنواع الغياب لكن أي شيء يغيب أيضا يطلق عليه اسم الضلال إذا ضللنا في الأرض فإن في خلقه ضللنا معناه اهتدينا عدنا ليس معناها أننا انحرفنا عن الطريق

وإنما معناها إن الإنسان بعد أن يموت كانوا يعتقدون وما زال أنهم بعد أن يضيعوا في الأرض بموتهم فإنهم لن يبعثوا بعد ذلك. من معاني الضلال أيضاً وهذا يشتق أيضاً من قضية الغياب أن تغيب عنه الذاكرة بعض الشيء قد تصل إلى درجة النسيان الكامل ولكنها مرحلة من المراحل ولذلك يقول الله عز وجل لا يضل ربي ولا ينسى فإذا الضلال هو غير النسيان ولكنه قريب من النسيان هو ليس النسيان الكامل أو الانسياق المطبق ومنها في آية الدي في سورة البقرة «أن تضل إحداهما وتذكر إحداهما الأخرى» تضل يعني تنسى بعض الشيء بعض ما هو موجود ليس نسياناً مطبقاً كاملاً وإنما هو بعض النسيان هذا يسمى أيضاً الضلال فتذكر إحداهما الأخرى وقد ذكرنا من قبل أن هذه مزية للمرأة لأن الشهيدين الذكرين إذا ضل أحدهما وذكره الآخر تعتبر هذه الشهادة باطلة لأن لا تعتبر شهادة الذكر صالحة إذا ذكره الآخر بعد ما نسيه أما المرأة فإذا نسيت فإن الأخرى تستطيع أن تذكرها وعادة في مجالس القضاء تسمى الأولى الشاهدة والثانية المذكرة وتقوم المذكرة فتذكر الشاهدة فتقول لها فتفكري لما عملنا كدة تعتبر مذكرة وتقبل شهادة هاتين امرأتين في حين لا تقبل شهادة الذكرين إذا ذكر أحدهما الآخر. لذلك سيدنا موسى يقول فعلتها إذا وأنا من الضالين ليس معناها الذين ضلوا كما نستعيز بالله عز وجل من الضالين في سورة الفاتحة وإنما من الناسين في هذه المرحلة موضوع تاه عنا بعض الشيء فتحدث سيدنا موسى عن نفسه أنه حينما قام بهذا العمل الذي اعتبر جريمة في حق الشخص الذي هو عدوه استغاثه هو الذي من شيعته على الذي من عدوه فوجده موسى فقضى عليه فحينما من عليه فرعون في ما بعد في هذا الموضوع قال فعلتها قال له وفعلت فعلتك التي فعلتها قال فعلتها إذا وأنا من الضالين النسيان من تهت عنها قليلاً هذه ليست ضللاً بمعنى الابتعاد عن طريق الحق وإنما هي مجرد النسيان.

فإذا الضلال يمكن أن يكون معناه عدم معرفة الطريق تبعاً يمكن أن يكون معناه الضياع يمكن أن يكون معناه الغياب ويمكن أن يكون معناه غياب الذاكرة وهذا نوع من أنواع الغياب ويمكن أن يكون معناه الابتعاد عن الطريق سلوك الطريق الآخر الذي هو ليس بطريق هداية بعدنا الله سبحانه وتعالى من ذلك وهذا هو الذي نستعيد بالله منه في سورة الفاتحة نحن نسأل الله

سبحانه وتعالى أن يهدينا الصراط المستقيم أن يوصلنا إلى هذا الصراط المستقيم ويجعلنا نسلكه وأن يعيذنا من أن نكون من الضالين الذين يبتعدون عن هذا الطريق وهذا الضلال منه دروب لو حاولنا أن نتتبعها مثلاً فقد ضل ضلالاً مبيناً المبين معناه الواضح قد ضل ضلالاً بعيداً في ضلال كبير قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فيه هنالك عدة صفات يمكن أن يوصف بها هذا الضلال لكن كلها أنواع درجات بالأحرى من الضلال.

من الآيات المهمة جداً في هذا المجال قول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» وهذه كان بعض الناس وما زال بعض الناس يسيئون فهمها ولذلك سيدنا أبوبكر لفت نظر الناس إليها وصحح لهم هذا المفهوم. الله سبحانه وتعالى يأمر الناس أن يهتموا بأنفسهم وأن يعتنوا بهذه الأنفس وأن يجعلوها دائماً تسلك طريق الخير وتتقي الله عز وجل وتراقبه فإذا فعلوا ذلك فلن يستطيع أحد أن يضرهم إذا اهتدوا لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد اهتدوا فلن يستطيع أحد أن يضرهم سأعيد الآية «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فتعهدوها بالعناية والرعاية والتقوى وسلوك طريق الخير وعند ذلك لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» لأنكم إذا فعلتم هذه الأفعال إذا اعتنيتم بأنفسكم فإنكم ستهدون ولا يضركم ضلال من ضل بعض الناس كانوا يفهمون عليكم أنفسكم يعني اعتزلوا بأنفسكم ولا تأمروا بالمعروف ولا تنهوا عن المنكر هذا هو فهم خاطئ ومع ذلك كثير من الناس مازالوا حتى الآن يعتقدون مثل هذا الفهم الخاطئ وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه لفت نظر المسلمين جميعاً إلى الخطأ في تفسير هذه الآية ونبههم إلى أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فإن ذلك سوف يؤدي به وبقومه إلى مشاكل كبيرة جداً لأن الله سبحانه وتعالى قد حظرنا وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات هذه الأمة الصفات الطبيعية فيها التي لو لم تتحقق فلن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس الله سبحانه وتعالى يقول «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» وبهذه المناسبة أحب أذكر كما أذكر دائماً هذه الأمة لن تخرج من تلقاء نفسها وإنما أخرجت إخراجاً الله سبحانه وتعالى أخرجها للناس كنتم خير أمة أخرجت للناس ومادام الأمر كذلك فهي أمة تحمل مهمة على عاتقها وليست أمة تافهة تستطيع أن تتخلى

عن هذا الواجب متى شاءت هذه الأمة شرفها الله عز وجل بأن تكون خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية تجعل من واجبها أن تحقق ما فيه خير الناس وتجعل من واجبها أن تأمر الناس بالمعروف وتنههم عن المنكر من أجل أن تحافظ عليهم ومن أجل تحفظهم على طريق الهداية وأن تبعدهم عن طريق الضلال ولذلك كان هذا الأمر من أهم الأمور التي تضطلع بها هذه الأمور وتمتاز بها على سائر الأمم.

وكما قلنا في موضوع الهداية فبالمقابل نجد أن الله سبحانه وتعالى بالنسبة للإنسان الذي أختار طريق الغواية الذي أختار طريق الابتعاد عن الحق الذي أختار طريق الضلال الله سبحانه وتعالى ليس فقط يتركه في هذا الطريق وإنما يزيده ضلالاً لأن هو اختار هذا الطريق الله سبحانه وتعالى يقول «فلما زاغوا أزاغ الله القلوب» هم اللذين زاغوا في البداية أول الأمر الله سبحانه وتعالى دل على طريق الخير ودل على طريق الشر ناس اهتدوا يزيد الله الناس الذين اهتدوا ناس زاغوا فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم هم بدأوا الخطوة الخاطئة ولكن الله سبحانه وتعالى دفعهم في هذا الطريق مادام هم الذين اختاروا هذا الطريق فليسيروا في هذا الطريق فإن الله لا يهدي من يضل، يضل معناه هنا يهتدي لأن كلمة ضل وأضل في بعض تصاريفهما يعطيان المعنى نفسه فالله سبحانه وتعالى يقول «وما يضل به إلا الفاسقين» فإذا الفاسقون هم الذين ضلوا في بداية الأمر والله سبحانه وتعالى يضل هؤلاء ويضل الله الظالمين يضل الله الكافرين كما رأينا من قليل إن الله لا يهدي قوم فاسقين لا يهدي القوم الظالمين لا يهدي القوم الكافرين ولكن كمان بالمقابل يضل الله الظالمين ويضل الله الكافرين ويضل الله الفاسقين يضل الله من هو مسرف إلى آخره.

إذا القضية كلها قضية بسيطة جداً الله سبحانه وتعالى قد هدى الإنسان النجدين هدى الإنسان سبيلاً إما شاكراً وإما كافوراً إن هديناه السبيل الله سبحانه وتعالى هدى الإنسان قدر فهدي يعني مكن الإنسان من أن يتخذ قراره بحرية ثم هده لم يتركه هماً وإنما دله على طريق الخير ودله على طريق الشر لكن الإنسان الذي حمل شرف هذه المسؤولية ينبغي أن يتحملها بشرف أيضاً

ولذلك الله سبحانه وتعالى بعد ذلك يتركه حتى يتخذ هو الموقف الذي سوف تنبني عليه الخطوات المستقبلية فإذا فضل طريق الخير وطريق الهداية فإن الله سبحانه وتعالى يأخذ بيده على هذا الطريق ويزيده هدى وإذا فضل طريق الضلال فإن الله سبحانه وتعالى يجعله يمعن في ضلالته فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقوى.

إذا قلنا الله سبحانه وتعالى يهدي من ينيب يهدي إليه من ينيب يهدي الله لنوره من يشاء إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليه ويهديك صراط مستقيم وينصرك الله نصراً عزيزاً. تكفل الله سبحانه وتعالى للصالحين من عباده للمصطفين من عباده أن يهديهم الصراط المستقيم ولذلك فإننا ندعو ربنا عز وجل سبع عشر مرة على الأقل أن يهدينا الصراط المستقيم وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسبنا هو اللطيف واهدنا إلى سواء الصراط واتبعني أهديك صراطاً سويًا دائماً الصراط السوي يكون بهذه الهداية.

والله سبحانه وتعالى حينما بعث رسوله وأنزل كتبه بعثها كلها من أجل أن تهدي الناس وهذه الهداية أمر مهم جداً مرافق لكل كتب من كتب الله نجد الله سبحانه وتعالى ذكرها بصورة خاصة في ثلاثة الكتب الثلاثة الأخيرة التي هي التوراة والإنجيل والقرآن والكريم «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور» إذا التوراة هي هدى صحيح هي مبعثرة لكن حينما أنزلها الله عز وجل أنزلها هدى ونور ثم يقول عن سيدنا عيسى وأتينا الإنجيل فيه هدى ونور فإذا الإنجيل أيضاً فيه هدى ونور وبطبيعة القرآن فيه هدى فهذه الكتب كلها تشتمل على الهدى من أجل أن تدل الناس على طريق الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ولقد أتينا موسى الهدى فإذا كمان نلاحظ أن الأنبياء دائماً يأتون الهدى حتى يوصله للناس وحتى يهدي الناس وهذه الكتب دائماً يتحدث عنها ربنا عز وجل فيقول نوراً وهدى للناس وهدى موعظة وهدى ورحمة وهدى وشفاء وهدى وذكرى هدى وبشرى يعني هدى تتكرر دائماً هنالك صفات أخرى كريمة تضاف إلى هذا الهدى لكن الهدى هو القاسم المشترك كما يسمى في الرياضات موجودة دائماً كما قلنا في

مختلف هذه الآيات وفي مختلف هذه الكتب التي أنزل الله سبحانه وتعالى من أجل أن يهدي العباد.

فيمكن أن يلخص هذا الموضوع كله ما ذكر ربنا عز وجل في سورة طه «فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى» فإذا هذه الهداية تضمن للإنسان إنه لا يزيغ وإنه لا يشقى والشقاء يواكب دائماً الضلالة عن الطريق السوية الضلالة عن الطريق الحقيقي الانحراف عن الصراط المستقيم دائماً يرافقه الشقاء لأن ربنا عز وجل وضع ذلك منذ البداية فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكر فإن له معيشة ضنكة ونحشره يوم القيامة أعمى لأنه أختار طريق الضلال هو ضاع عن الطريق الحقيقي تاه عن هذا الطريق الحقيقي فلذلك أختار العمى على الهدى وما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى هذا الذي يفعل ذلك يحشره ربنا سبحانه وتعالى يوم القيامة أعمى فيارب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كل ذلك يعود بنا للتذكير إلى هذه الكلمات كما نلاحظ هذه اللغة العظيمة لغة القرآن الكريم فنسيتها النسيان كما قلنا الضلال هو نوع من النسيان أتتك آياتنا فنسيتها ضللت عن الطريق السوي وكذلك اليوم تنسى تترك من الصراط الذي يمد يوم القيامة من أجل يصل إلى الجنة.

فإذا قضية الضلال والهداية هي في الأصل من الله عز وجل الله سبحانه وتعالى قدر فهدى يعني مكن الإنسان أعطاه القدرة على أن يتخذ القرار وعلى أن يتصرف في حدود القوانين ففي ما كان من أمر الحقائق الكونية يعني القوانين الكونية الإنسان في هذه المجالات له الحرية والقدرة على أن يحاول مقاومة هذه القوانين وتحويلها إلى الشكل الذي يجعلها مفيدة الاستفادة منها وهذا أمر مهم جداً لأن الله سبحانه وتعالى لا يسامح الإنسان الذي يتخاذل والإنسان الذي يتعامل مع هذه القوانين تعامل الإنسان السلبي المستكين وإنما يريد أن يقف الإنسان في وجه هذه القوانين ويستفيد منها. كل هذه الأشياء الموجودة في الكون هي صديقة لهذا الإنسان الله سبحانه وتعالى قد خلقها من أجل خلق لكم ما في الأرض جميعاً بل قال خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً يعني ليس فيه استثناءات وليس فيه شيء الله سبحانه وتعالى خلق لنا هذه الأشياء جميعاً مادامت قد خلقت لنا جميعاً فإن علينا أن نحسن الاستفادة منها وإلا فإننا نكون قد

هدرنا هذه الطاقات وأضعناها ولم نعطيها ما تستحق من مكانة وقيمة تتناسب مع فضل الله عز وجل ومن أجل ذلك لا يتسامح مع الإنسان الذي يتفاعل مع هذه المقادير تفاعلاً سلبياً ولذلك نلاحظ أن سيدنا عبد القادر الجيلاني زاهد

الناس إذا ذكر القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فقد انفتحت لي فيه روزنة، روزنة أي فتحة نافذة تنازعت أقدار الحق بالحق والرجل من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مسالماً للقدر الإنسان يستغرب هذا الكلام لكن ابن تيمية أيضاً نقل هذا الكلام في رسالة العبودية وأكد عليه ويقول الذين ذكروا شيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله لأن الإنسان مطالب أن ينازع أقدار الله بأقدار الله وهذا ما تذكرون أن سيدنا عمر رضي الله عنه حينما أراد أن يدخل على الشام وكان فيها الطاعون وسيدنا أبو عبيدة استنكر أن لا يدخل على الطاعون قال أتفر من قدر الله قال نفر من قدر الله لقدّر الله ولذلك ربنا سبحانه وتعالى أمرنا أن نقاوم أقداره بأقداره سألوا النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرايت أدوية نتداوى بها ورقى نستقرى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله فإذا نحن نرد من قدر الله بقدر الله أما الإنسان يستكين ويقول هذا هو مقدر ويجلس وينتظر أن يأتيه الرزق إلى حته هذا بعيد جداً عن صحيح الدماء الله سبحانه وتعالى قدر الإنسان من أجل أن يستعمل المقادير الأخرى التي هي في القوانين الكونية افضل استعمال لكن بالإضافة إلى ذلك جعل له في ذلك مطمئناً لنفسه إذا حدث الأمر الذي لم يستطع له دفعه فعند ذلك يقول إنا لله وإنا إليه راجعون يذكر نفسه إن كل هذا الكون راجع إلى الله عز وجل ليصبر وهذا الصبر نعمة من نعم الله عز وجل يحتاج أيضاً إلى حديث .

أرجو ألا أكون قد أطلت وأسأل الله لنا ولكم العافية وسبحانك الله وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

سؤال

والله هو في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن هؤلاء الخلفاء هم الخلفاء الأربعة أو الخمسة المسمون حتى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث ذكر إن جاءته امرأة أمر لها بشيء فقالت فإن أتيت لم أجذك فقال أتى أبا بكر من بعدي بدليل على أن سيدنا أبا بكر هو الخليفة من بعدي وإن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك وبطبيعة الحال ما يرادف ذلك قضية في توليته الصلاة على المسلمين وهي أهم أمور المسلمين بعد الإيمان فالنبي صلى الله عليه وسلم ولا سيدنا أبا بكر الإمام بن حزم يقول إن نص هؤلاء الراشدين إن طاعة هؤلاء الراشدين واجبة بنص القرآن الكريم لأن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن هؤلاء الأعراب الذين جاءوا ودعوا إلى أن يقاتلوا فاستنكفوا عن هذا القتال فقال لهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربي عز وجل رجعت فإنه إلى طائفة منهم فاستنذنوك للخروج فقل لن تخرج معي أبداً ولن تقاتل معي عدوا إذا انتهوا مع النبي عليه الصلاة والسلام ليس لهم دواء بعد ذلك نزلت آية «ستدعون بهؤلاء الأعراب استدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يأتيكم الله أجراً حسناً وأن تتولوا كما توليتهم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً» ومعنى ذلك الله سبحانه وتعالى قال لهؤلاء أمر النبي عليه الصلاة والسلام يقول لهم لا تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدو إذا من هو الذي سيأمرهم بأن يخرجوا معه فيقاتلوا الأعداء ليس النبي عليه الصلاة والسلام الذين بعده ماذا قال ربنا عز وجل «فإن تطيعوا هؤلاء الخلفاء الراشدين يؤتيكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا يعذبكم عذاب أليم» إذا طاعة الخلفاء الراشدين المهيدين واجبة بنص القرآن الكريم وبصورة خاصة الخلفاء الثلاثة الأول الذين تمت في عهدهم الفتوح يعني الذين حصلت في عهدهم الحروب مع القوم أولي البأس الشديد يعني في زمن سيدنا أبي بكر حصلت بدأت الحروب مع أهل الردة ومع بداية الحروب ومع الروم والفرس ثم في زمن سيدنا عمر تسعى الأمر ثم في زمن سيدنا عثمان وصل الأمر قمته وغايته وصل إلى الصين وصل إلى الأندلس من المغرب وقد ذكرت لكم أعتقد أن من حقكم أن تطالبون خاصة حق الأخوان الذين كانوا حينما تحدثنا عن سيدنا عثمان أن نتحدث في ليلة من الليالي عن سيدنا عثمان رضي الله عنه من جملة الفكر الاستراتيجي الرائع لسيدنا عثمان أنا مازلت حتى الآن أحاول ولا أستطيع أن أفهم ذلك أبداً سيدنا عثمان أمر وجه سيدنا معاوية إن القسطنطينية إنما تفتح من الأندلس هل

كانت أمام سيدنا عثمان خريطة كالخرائط الذين نراها اليوم يتضح منها تماماً أن الذين يذهبوا من الأندلس يستطيعون أن يحكموا الكماشة كما يقال حول القسطنطينية لم يكن هناك خرائط لم يكن هناك أداة تصور لم يكن هناك سيدنا عثمان قد تحرك في البحار وجال ومع ذلك هذا والحقيقة أن قضية الأندلس مرتبطة كانت تماماً بقضية القسطنطينية والمؤسف أنه حينما سقطت الأندلس سقطت القسطنطينية في الوقت نفسه يعني كأن هنالك نوعاً من الارتباط سيدنا عثمان في عهده بلغت الفتوح أوجها في عهده اتسعت الدول الإسلامية إلى أبعد مدى ممكن ولو أن هذا الاتساع كما نعلم نجمت عنه نواجد فيما بعد من هذه السرعة في دخول الناس في دين الله ربما هي التي تنبه لها سيدنا أبو بكر حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربه بكى سيدنا أبو بكر يقولون أنه بكى لأنه فهم منها أنها تدل على أجل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت وكلنا ميتون إنك ميت وإنكم ميتون في المخیل إلى أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لما يؤتي من نظر ثاقب شعر بهذا الخطر الذي يتهدد هذا الدين من جراء دخول الناس في دين الله أفواجا بحيث لا يستطيعون أن يربوا التربية العظيمة التي تمت في السنوات الثلاث والعشرين الأولى من عهد هذه الدعوة إن النبي صلى الله عليه وسلم بقي ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة فلم يخرج معه إلى حفنة قليلة من الناس لكن هذه الحفنة القليلة كل واحد منهم بمئة ألف رجل هذه التربية العميقة الهادئة لم تتوفر فيما بعد ولذلك بدأت الانحرافات بدأت باغتيال سيدنا عمر ثم باغتيال سيدنا عثمان ثم باغتيال سيدنا علي نلاحظ أن هؤلاء الخلفاء الراشدين جلهم استشهدوا في سبيل الله واغتيلوا اغتيلوا وهذا بدأ منذ صدر هذه الدعوة لأن دائماً كما يقال ولعل هذه من الأشياء الصادقة في النظريات المركسية وما إليها أن الثورة دائماً فيها بذور الثورة المضادة ولذلك تبدأ هذه البذور تنتج وتنمو حينما تجد لها الجو المناسب ومن الأجواء المناسبة هذا الدخول الكثير في الدعوة دون أن يقول الناس قد ربوا هذه التربية ولذلك تبدأ الذر قرنها شيئاً فشيئاً وتبدأ تعرقل المسيرة.

كما قلت التقدير في اعتقادي هو التمكين إن الله سبحانه وتعالى يقدر يعني يقدر هذا الإنسان على أن يقوم بعمل الخير أو بعمل الشر فإذا هو قادر على أخذ أحد الاتجاهين وحينما يختار واحداً من الاتجاهين كما قلنا الله سبحانه وتعالى يدفعه في هذا الطريق ربط ذلك بما هو مكتوب في اعتقادي موضوع آخر لأنه الأمر الآخر يرتبط بعلم الله عز وجل الله سبحانه وتعالى قد علم مسبقاً أن هذه الأشياء تحصل مثل لما يقول والله المثل الأعلى إنه تلميذ في المدرسة لا يدرس ولا يحضر الدروس ولا يذاكر إلى آخره هناك الأستاذ يتوقع له السقوط لأنه لا يمكن أن ينجح لكن ليس معنى ذلك أنه أجبره على أن لا ينجح ولو أنه سيقول من البداية لا لن ينجح. فهناك بعض التصرفات أو السلوكات التي يمكن أن يحكم عليها مقدماً أن هذا الإنسان لن يكون في طريق الخير لكن هذا لا يعني إجباراً على أن يسير في طريق الخير لأن هذا التلميذ لو استطاع أن يتدارك ذلك فإن الأمر يعاد وكثير من الناس يعني يعمل بعمل أهل النار بآخر لحظات يسبق عليه الكتاب لأن ما سبق في علم الله عز وجل سيعمل بعمل أهل الجنة فيدخله إذا يستطيع الإنسان أن يتدارك الموضوع حتى في أواخر الأمور فما كتب هو من علم الله عز وجل الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذا ضمن وهذا بطبيعة الحال القوانين أنا لا أحب أن أستفيض كثيراً في نظرية القوانين لكن في المرة الماضية تحدثت عن عالم الغيب وعالم الشهادة وقلت إن عالم الشهادة هو القرآن لم يستعمل عالم الغيب وعالم الشهادة استعمال عالم الغيب والشهادة لكن نحن نستطيع أن نستنتج وجود عالم غيب وعالم شهادة عالم الغيب هو ما غاب عنا ما غاب عن حواسنا ما غاب حتى عن أقصى ما يمكن أن نتصوره وهذا كما نعلم يتغير مع الأيام يعني في الزمن القديم لم نكن نعرف أن هنالك أمواجاً فوق أو أن هنالك أمواجاً فوق البنفسجية فوق الأشعة البنفسجية أو تحت الحمراء كل هذه الأمواج نستعملها اليوم لم نكن نعرف أن هنالك جراثيم ثم اخترع المجهر الضوئي فصرنا نرى الجراثيم العادية ثم اخترع المجهر الإلكتروني يكبر متين ألف مرة فصرنا نرى الفيروسات إذا عالم الغيب متطورة بالنسبة لنا اضطلعنا على عالم الغيب متطور فمن عوالم الغيب وهي أكثر من عالم فيها قوانين تختلف القوانين المطبقة في الشهادة لم نرى هذه القوانين يعني مسننات الساعات أو السيارات هذه تتحرك سنلاحظ أن هذه المسننات تتحرك لكن نلاحظ فجأة أن هذه المسننات انحرفت كلها انحرافاً واحداً لماذا ربما

المسنن الكبير في عالم الغيب الذي لا نراه في هذه اللحظة ذكر الخط ودفعه نحن لا نعرف هنالك عالم آخر لم نراه وهذا ما نصير نكتشفه يعني أحياناً نكتشف بعض هذه القوانين المضافة أو عوالم الخارجة عن عالمنا عالم الشهادة واكتشفنا مصادفة وتذهب بعد ذلك كثير مثلاً من المذنبات اللي كانت تأتي تمر وبعدين ثم لم تظهر مرة ثانية أو بعد 600 سنة تظهر مرة ثانية هذه أثناء الفترة بينهما شيء غير موجود بالنسبة لنا إطلاقاً ثم فجأة نرى هذا المذنب يظهر مرة أخرى فإذا هنالك قوانين خارج هذه القوانين التي نعرفها وهي أيضاً مقدرة بمعنى أنها ممكنة نافذة المفعول وهي تنفر ولكن مسنناتنا تبدو أكبر بكثير من المسننات التي نعرفها ونتعامل معها والله أعلم.

شكر الله لكم وجزاكم خيراً.